شعبان ١٣٥٤ — السنة الرابعة — Quatrième Année — Novembre 1935

مجلة المغرب

تثقيفية عمرانية أدبية — MAJALLAT EL MAGHRIB — مديرها : محمد الصالح ميسة

حول مسألة التعليم

ان العلم — توأم الاحسان — وسيلة إلى صلاح الأمة وسلم ارتقائها إلى مراتب السعادة ومقاعد العزّ بل هو أساس كل شيء وهذا لا يختلف فيه إثنان ، فلا بدع إذا كانت مسألة التعليم رأس المسائل وأهم المشاكل التي يجب أن تعتني بها الأمة والحكومة في حين واحد وان تشتغل بها الأفكار ويجعلها الناس موضوع أحاديثهم في ظعنهم وإقامتهم ومحل اهتمامهم في المجالس وفي البيت ، وخير حديث تتداوله الالسن حديث التعليم وإسعاف الفقراء وأفضل بقعة في البلاد بقعة فيها ملجأ خيري أو مدرسة تنار فيها العقول وتهذب النفوس وتكون الضمائر ويخرج بها الناس من الظلمات إلى النور وأطيب مال ينفق هو الذي تشاد به المدارس ويعين على نشر العلم أو ينقذ به ضعيف وخير لذة في الحياة منظر جائع ملهوف وجد طعام ساعة وولد يتعلم وأما سوى ذلك من ترف ونعمة وشهرة وقصور وإمارة وغيرها مما تميل إليه النفوس فلا شيء ، بل ان خير عبادة تقرب الانسان من ربه وتنيله شرف الحظوة عنده نشر العلم واطعام فقير جائع .

وقد طرقنا مسألة التعليم في مناسبات شتى ، وبما ان العلم لا ينفع إلا اذا كان على أسس صحيحة تتفق وذاتية الوطن فقد وجب في حقه أن يكون له نظام وبرامج وتراتيب لازمة ، وسبق ان ابدينا رأينا في هذا الشأن مراراً متعددة ولم نكتف بذلك بل زدنا عليه ان نشرنا برامج جرى بها العمل في أقطار مختلفة لندلل على ان افكارنا ليست بنظريات مطلقة تحتمل الانجاز وغير الانجاز بل هي ممكنة الانجاز حيث انه وقع تطبيقها في غير المغرب ببعض البلاد التي تشابه المغرب من وجوه عديدة ولا تكاد تختلف عنه في شيء اللهم إلا اختلاف ميول رجال الادارات وتغاير أساليب في الاصلاح ، على اننا لا نريد من ذلك التقليد الاعمى لهاته البرامج والجري عليها سطراً بسطر ومماشاتها من غير تحقيق النظر فيها وتنقيح ما يستحق التغيير والتعديل .

ولسنا ننكر ماكان للحكومة منذ نشر الحماية من اعتناء بمسألة التعليم ، ومن واجبنا أن نسجل ما قامت به في هذا السبيل من جهد وان نشكرها على ذالك شكراً جزيلا ، ولا كننا لا ننسى مع هذا أن ننبه الحكومة إلى ان اعتناءها يجب أن لا يبقى في دائرته المحدودة وخطته المرسومة منذ أول الحماية وقد ازدهر العمران ورغب الناس أن يتعلموا وعرفوا قيمة العلم ، ولقد حان الوقت

الذي يتعين فيه أن ينظر في شأن التعليم نظراً اوسع وأشمل مما قبل وأن يدخل في دور التنظيم العام الامر الذي يقتضي وضع ما يلزم لهذا الغرض من برامج واسعة النطاق وتراتيب شاملة لكل ما تتطلبه الحاجة ومشروعات عامة يتفق على إنجازها من لدن رجال أكفاء مارسوا المهنة ودرسوا أحوال البلاد وعرفوا ماتحتاجه من إصلاح وما تتطلبه من مدارس .

وهنا نظن انه لا يمكن ان تقوم بهذا العمل ادارة المعارف وحدها ، فان ادارة المعارف حقاً تحتوي على رجال مدربين واساتذة علماء والجميع اهل نوايا حسنة وهم مسوقون في كل اعمالهم بدافع الرغبة في خدمة المصلحة العامة والسير بالنشء المغربي الى ما نتمناه من رقي ونجاح ولكن كيفما كان رجال الادارة وكيفما كان مبلغ علمهم بالاحوال فانه من المستحيل ان يحيطوا بكل شيء علماً وقد تخفى عليهم اشياء كثيرة خصوصاً ان ادارة المعارف ليس لها منذ مدة اتصال متين بالطبقات الاسلامية المثقفة لمعرفة آرائهم والاطلاع على تطور المغرب الحديث وسير الحركة الاسلامية في انحاء الارض وقراءة ما يكتب في ذلك بالصحف السيارة وما تنشره المطابع من كتب خاصة بهذا الشان ، ومن قبل كثيراً ما كنا نشاهد رجال التعليم يتلاقون مع الاهالي وتجمعهم المناسبات باعيان المسلمين في بعض الديار فيتذاكرون في مسالة التعليم ، وهذه اعوام كان اعتنى مكتب المقيم العام نفسه بهذه القضية الخطيرة ليكون لرئيس الحماية اشراف عليها لانه المقام لرفع شأن البلاد والمنتظر منه ما تصبو اليه من اصلاح.

فيجب ان تنزل مسألة التعليم في اقرب وقت على بساط البحث وان تتشارك الادارة والامة في تقرير ما يلزم لها من حلول فان الادارة من غير شك محتاجة الى التحصيل على معلومات ربما فاتتها لما اشرنا اليه من اسباب ، على انه لا يمكن شيء ولا ينجح امر سواء في هذا او في غيره الا بالتشاور وتبادل الافكار وليس في تبادل الافكار والاستئناس بالرأي إثم ولابأس .

ثم انه ليس من الصواب ان نقصر الكلام دائماً على الحكومة وان نكتفي باستنهاضها صباح مساء من غير ان نطالب الامة بمثل ما نطالب به الحكومة من الاعتناء بمسألة التعليم والسعي في ترقيته ونشره ، فان الحكومات على حسب الامم وفي الحديث الكريم « كما تكونون يولى عليكم » والولات كيفما كانوا يرقبون الامة عن كثب فاذا اظهرت الامة رغبة في شيء واظهرت ذلك بالعمل الجدي ، لا بالقول الفارغ ، فان الحكومة لا تلبث ان تظهر مثل ذلك الاهتمام واكثر ، اما اذا كان من الامة اهمال فلا كبير ذنب على الولات في ان يهملوا شئوناً يهملها اصحابها انفسهم ، فلنطالب اذن انفسنا قبل ان نطالب الغير ولنحاسب انفسنا قبل ان نحاسب الحكومة ولنظهر اعتناءنا الاكيد بمسألة التعليم فان الامة مسئولة عليه قبل كل احد واذ ذاك يكون لنا متى ادينا واجبنا الحق في التشكي تماماً ورفع الصوت جهاراً اذا لم تقم الحكومة بواجبها الذي لا ننفك نحاسبها عليه .

والمناسبات المتاحة للامة لاظهار اعتنائها كثيرة ، فان النظم الراهنة على حالتها يمكن لنا من شتى الميادين ان ننتفع بها اكثر مما تنتفع بها الآن وان نستغلها احسن مما نستغلها اليوم والنظم كيفما كانت يكثر نفعها ويقل على حسب طرق الاستفادة منها واستثمارها بمختلف الوسائل.

فها هي مثلا مسألة قد لا يعير لها الكثير بالا والحال ان لها اهمية كبرى ونعني بها مراقبة التلاميذ ، فان الرجل

عندنا يرسل ولده الى المدرسة فيغدو ويروح ولا يتفقد الوالد دروس ولده ولا يتابع سيرته وانما يلقي له الحبل على الغارب ويتكل على الاستاذ في كل شيء ، اما الاروبيون فبخلاف ذالك ، فان عمل المدرسة يزيدون اليه عمل البيت فالتلميذ مراقب اينما حل وسار وله في بيته مدرسة ثانية يراجع فيها دروسه ويقوم بما يكلف به من تحرير وتمرين ويشرف على ذلك الاب من جهة والام من جهة اخرى الى غير ذلك من انواع التفقد والمساعدة التي تجعل الولد محاطاً في كل ناحية بالعناية التامة وتبعثه على المضي في طريق التحصيل والاجتهاد وترك الراحة والبطالة والملاهي المضرة التي من شأنها أن تفسد خلقه وتغير حياته العقلية والاجتماعية ، نعم إن جهل المرأة عندنا وجهل الاباء ايضاً يمنعنا من القيام بمثل ما يقوم به الاروبيون تماما ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ومن السهل على الاب أن ياخذ ساعة وساعتين بالنهار ليصرفهما بجانب ولده وان كان لا يقدر على اعانته فهو قادر على ان يحمل ولده على مراجعة الدروس امامه فيعلم ولو قليلا مبلغ تحصيله ومقدار اجتهاده، كما أنه من المتيسر جداً أن يخصص في الدار محل للولد بما يلزم من طاولة وكرسي وخزانة وغيرها من الادوات الضرورية لكل طالب بحيث أن الولد يكون له محل يستأنس به ويجمع فيه شئونه ويذكره واجباته المدرسية ، أما الآن وليس له شيء من ذلك فانه لا يجد في المنزل ما يرغبه في العمل وأنى له أن يجد ذلك وأبواه في عماية عنه معرضون !

ثم إنه أتيح لنا في العطلة الصيفية ان تلاقينا بعدة من الاساتذة قصد الاستطلاع وسعيا وراء الاسترشاد ، وجلهم تشكوا لنا من اهمال الآباء للتلامذة وأبدوا لنا كثيراً من الأسف على هذا التهاون الذي من شأنه أن يفضي بالتلاميذ من جهتهم أن يهملوا واجباتهم المدرسية وهذا ظاهر بالبيان ومشاهد بالعيان فكثير من الاولاد يتبعون دروسهم من غير نظام فتارة يحضرون وإذا حضروا فإنما هي أوقات تقتل وتصرف في غير جدوى وكثيراً ما يكاتب الأساتذة الآباء في ذلك رجاء ان يتداركوا ما بأولادهم من نقص معيب وتهاون كبير ، بيد أن كل ذلك لم ينبه منهم شيئاً ولم يعيروه التفاتاً ولا تفضلوا بجواب ، ولذلك نرى ان الواجب يقضي على الآباء أن يستحثوا أولادهم على مواصلة الدروس بلا كسل ولا انقطاع فيتأهلوا للحياة الصالحة وان يزوروا المدارس من حين لآخر ويكثروا من هذه الزيارات من غير ملل ويسألوا عن أولادهم ويبحثوا عن سيرتهم ولا يخشوا في ذلك من أن يمتعض الاستاذ أو يستاء فربما نشط ذلك الاستاذ وازداد يقيناً ان هناك من وراء من يتتبع مبلغ العناية داخل المدرسة ومناهج الافادة والتعليم ، كما يجب أن يستشيروا المعلمين وأن يتباحثوا معهم في كل ما يهم الولد ، فان حياة الولد حياة الامة وكل تعب لاحاطته والعناية به قليل .

وهناك ميدان آخر يمكن أن تظهر فيه عناية الامة بالتعليم وهو محاربة الامية التي يفرض علينا فرضاً أن نقوم بها من غير مطل ولا تسويف ، فان الناس مجمعون على ان الامية ظلمة تغشى الأبصار وموت للنفوس البشرية ، وقد كان للانسان في سالف الزمان أن يستغني عن معرفة القراءة والكتابة ، أما في هذا العصر فلا مسوغ لبقاء الامية تعمل عملها في إنحاء الايالة ، إذ من المعلوم ان القراءة والكتابة صارتا من لوازم الحياة وبعبارة اخرى من الشروط الفنية لسير المجتمعات فإذن لا بد لكل فرد من

أفراد الامة أن يعرف القراءة والكتابة وهذا ممكن بإنشاء المدارس الاصلاحية ولا تستلزم هاته المدارس أكثر من جولة يجولها البعض في الأسواق كل اسبوع لا غير ومنذ سنين ونحن ندعو إلى ذلك ولا من مجيب ، وسبق أن نشرنا مقالين في موضوع قريب من هذا الذي نستحث العزائم لتنفيذه ، وهو مشروع القرش ففي مستطاع هذا المجموع البشري الذي يزخر به المغرب في شتى نواحيه أن يتبرع كبيره وصغيره بقرش لا غير ومن هذا القرش يتوفر المبلغ المؤمل من جمعه تشييد المدارس الاصلاحية التي تنير العقول وتخلص الشعب من الامية البغيضة .

وأيضاً على جمعيات قدماء التلاميذ أن يعينوا على هذا العمل الجليل بانشاء دروس ليلية إسوة بما فعلته جمعية الرباط، فمنذ سنتين تقوم هذه الجمعية الفتية بدروس رأينا من الاقبال عليها المتزايد ما جعلنا نشكرها الشكر الجزيل ونؤمل لها النجاح الباهر ، أما فيما عدا الرباط فلم نسمع بجمعية اخرى قامت بهذا العمل وإنما تنشر الصحف من حين إلى آخر ان الجمعية الفلانية اجتمعت لانتخاب مجلسها الاداري وعين هذا رئيساً وذاك نائب رئيس وهذا كاتباً والأخر صاحب مال الخ ذلك من العناوين والمهازل وهذا كل ما كان والحمد لله رب العالمين ! شيء والله دافع للحزن باعث للاسى : جمعيات متعددة لا تخلو منها مدينة من المدن الكبرى بين أيدي شبان تثقفوا بالمدارس واعطوا حق الاجتماع ولكنهم لم يستفيدوا من ذلك ولم يفيدوا غيرهم بشيء فحق عليها كلمة الموت كما حقت من قبل على اختها جمعية التأليف والترجمة والنشر التي لا زلنا نتحرق عليها ونحرق الارم من أجلها وسوف يسألون !

ومن باب إظهار الامة اعتناءها بالتعليم وحبها للاصلاح وبث المعارف إنشاء الكتب المدرسية البسطية في فنون مختلفة التي يمكن أن تكون في الكتاتيب الاولية وبين أيدي التجار والصناع وغيرهم ، ولعل هذه الناحية لم يفطن لها مؤلفونا هداهم الله لتنوير الاذهان وتثقيف العقول باوليات العلوم في عبارة سهلة منسجمة يفهمها الصغير والكبير أو يعلمونها ولكن تابى عظمتهم أن تتنزل لمخاطبة الناشيء واكتفوا بافراد التآليف الجمة في باب الاختصاص ومشاكل النحو التي مرت عليها قرون ولما نزل نسمع حديثها لم ينته بعد ! ولم نر في الاياله إلى الآن إلا ثلاثة من الناس حاولوا سد هذا الفراغ فاستحقوا على محاولتهم الشكر ونتمنى ان يقتدي بهم الغير في ذلك حتى يكون لنا ما نؤمله ونتمناه من تأليف مكتبة للناشئة مفيدة، وهذا لا ينتظر أن يقوم به الفرد بل حتم على الافراد والجماعات التعاون على إنجاز ذلك ويبدو للناظر في كتاب مدرسي ذي صفحات قلائل ان من الميسور السهل تأليفه وهو في الحقيقة من الصعب بمكان حيث يستدعي التحري الكبير والتحقيق في المسائل وغربلة الحقائق والروايات ليخرج مطابقاً للواقع الذي لا يقبل الشك ولا التزييف .

ثم إنه من بين اظهرنا أغنياء لا يوجدون في اقطار اخرى في امكانهم مساعدة المؤلفين وتنشيطهم وتعضيد المشروعات الوطنية والمال وحده يضمن للمشاريع النجاح فالبذل في هذا السبيل خير من إتلاف الاموال في الملذات والشهوات وفوق هذا خير من اكتنازها وادخارها لوارث ربما لم يبق عليها ولم يذر فلا بها انتفعوا ولا ذكر لهم عمل خيري بين المحسنين ، وهؤلاء الأغنياء في بلادنا لا بد أن نوجه إليهم القول من جديد ولعلهم سيشعرون بواجبهم المفروض ، وقد الفت نظرنا إلى بعض تلاميذ يكابدون — لعدم وجود عائل لهم أو لفقر والديهم — ما لا يخطر بالبال من المتاعب للبقاء في المدرسة ، فهلا